الفصل الثامن
تحويل الثقافات

سوف يطوف بك هذا الفصل في:

- مفهوم الثقافة، والاتصال ما بين الثقافات، وعلاقتها بالدراسات الإعلامية والعولمة.
- محاولات تعريف أبعاد الثقافة.
- حوارات الإمبريالية الثقافية.
- الاحتكار المستمر لوكالات الأنباء على المستوى العالمي.
- أنواع مقاومة هيمنة الثقافات التي تبرز داخل الأمم، وعلى المستوى العالمي بما في ذلك التشويش السياسي والإعلام الراديكالي والمتمرد.

كما شهدنا في الفصل السابع، كانت محاولات تحويل الرأي العام العالمي - من خلال البروباجندا - محاولات حية وجيدة، وافترضت المناهج المبكرة للاتصال والتنمية أن الإعلام الحديث حول الثقافات، قادها إلى رخاء اقتصادي. اقترح دانيال ليرنر (Daniel Lerner, 1958) نظرية «التوقعات المتصاعدة rising expectations»؛ لأنه اعتقد أن الإعلام يتبع بشكل سريع التنمية الصناعية، وعندما تبين أن الأمر لم يكن كذلك، اقترح نظرية «الإحباطات المتصاعدة rising frustrations»، ولكن هناك قليل من الشك في أن هناك اتصالًا، يعمل عبر الحدود بين الثقافات على نطاق لم يحدث من قبل. نتناول في هذا الفصل التواصل بين الثقافات وتدفق الاتصال من خلال الإعلان والأخبار وأشكال ملكية وسائل الإعلام.

التواصل بين الثقافات:

"أتذكر أنني في الصغر كنت أذهب مع جدتي في مطلع الربيع إلى ضيعتها على أطراف المدينة الصغيرة، كان المكان يمتلئ بالنشاط، وكان الجميع يجمعون الخضراوات القديمة، ويعزقون الأرض، ويصفونها ويقيسونها، ويحفرون الحفر لرمي البذور، وبعد أسابيع تغير المشهد كما تغيرت الأنشطة تمامًا؛ حيث ظهرت صفوف الشتلات متباعدة بشكل متساو، وصار الناس يقومون بأعمال الشتل والتعشيب والري .. لم يكن الأمر بالنسبة لي حينذاك غريبًا؛ حيث إن كل الأنشطة والتغييرات تبدو طبيعية تمامًا وعادية، ولا تلفت الانتباه. وكلما

أفكر في هذا الأمر الآن تتراءى لي استعارة مناسبة لوصف الثقافة، فالطبيعة أمدتنا بالأرض التي تقوم عليها الثقافة: التربة والبذور والطقس والمياة، وقرار اختيار الضيعة على الحافة الجنوبية للمدينة كان مسألة ثقافية بحتة، كما هو الحال مع حجم كل ضيعة (أو حتى مفهوم الضيعة). أيضًا، الثقافة لها تأثيرها على أنواع الأدوات التي يمكن استخدامها: المذراة، الجاروف، المعاول، عصا الغرس، سلسلة الكرات، وعصا لتسوية الصفوف ... إلخ" (Kress, 1998, 5).

يرى كريس الثقافة على أنها طبيعية وعادية، ولكنها – في الوقت نفسه – تحدد ما نمارسه، فنحن نعطي للناس والممارسات كما نفعل لبيئتنا الفعلية؛ فالثقافة متأصلة فينا حتى أنها شيء حقيقي في كل النوايا والأغراض، وكل صنعة ثقافية تحمل معها نظامًا متكاملًا من المعاني. فالحقيقة التي نطلق عليها مسمى تليفونًا محمولًا، تعني تكنولوجيا بشرية، وبصفة خاصة في ألمانيا حيث يسمونه «اليدوي».

يرتبط الاتصال والثقافة ارتباطًا وثيقًا، والإشارات والرموز يتم توصيلهم من خلال اللغة وصناعات ثقافية، وكل ثقافة لها أيضًا الرؤية العالمية، أو عالمها الخاص بها، أو توقعات بشأن صناعاتها الثقافية، علاوة على السلوك الإنساني وهويتها.

تعد الحملات الإعلانية لشركة يونايتد كلورز أوف بينيتون (united colors of Benetton) مثالًا جيدًا للصناعات الثقافية والحملات العالمية، والتي تبرز التحدي للرؤى العالمية بشكل واضح تمامًا. بدأت الحملات لهذا المصنع الإيطالي للملابس عام 1984 كوسيلة اتصال، وكتعبير عما اعتبرته الشركة موضوعات عالمية للمساواة، مثل حقوق الإنسان والمساواة في الجنس البشري. تم تصميم الإعلانات؛ لكي تتحدى الصور النمطية، ولكي تكون جدلية، وقد لفتت الإعلانات انتباه الأخبار، وأدت إلى الظهور الهائل لبينيتون، بما في ذلك اتهام النشطاء الاجتماعيين بأنها تستغل المعاناة من أجل تحقيق أرباح من وراء الإعلان. وكانت حجة بنيتون أن الإعلانات كان لها دافع ربحي، ولكنها أيضًا صممت في الأصل لمعالجة قضايا أخلاقية مهمة.

استخدمت شركة بنيتون المنهج نفسه لمعالجة القضايا الجدلية، عندما أرادت أن تزيد من نصيبها في السوق في الولايات المتحدة، والرؤية العالمية التي أرادت تحديها كانت دعم الولايات المتحدة لعقوبة الإعدام. قضت العقلية المبدعة للحملات الإعلانية، أوليفير

توسكاني، عامين في زيارة السجناء المحكوم عليهم بالإعدام. تم شن الحملة على مستوى العالم عام 2000، وأبرزت مصيبة 26 قتلة مدانين في انتظار حكم الإعدام في موضوع ضد عقوبة الإعدام.

ولكن سرعان ما واجهت الحملة هجومًا من عائلات الضحايا، والمجالس التشريعية التي سمحت لبنيتون بالدخول إلى السجون لمقابلة نزلاء السجن. فلم يكونوا فقط محبطين من الإعلانات، حيث لم تذكر مذكرة بنيتون – المكونة من 100 صفحة – أي شيء عن الجرائم التي تم ارتكابها، ونادت جماعات الدعاة بمقاطعة كل منتجات بنيتون، وكان هناك هياج عام؛ بسبب منهج بنيتون، وصخب ومعارضة ناجحة من الجمعيات الأهلية. أيضًا كانت سلسلة محلات سيرز روباك (Sears Roabuck) أحد أهداف المقاطعة، فقد كانت موقعة على عقد مع بنيتون؛ لبيع كل منتجاتها في محلاتها في كل أنحاء الولايات المتحدة؛ مما اضطر سيرز روباك إلى فسخ عقدها؛ لاعتراضها على حملة بنيتون، وكرد فعل للهياج العام الذي عبرت عنه ضحايا هؤلاء الذين ينتظرون حكم الإعدام.

أبعاد الثقافة:

كان تحدي بنيتون لفكرة وممارسة عقوبة الإعدام في إطار ثقافات تتشارك في الخصائص الثقافية نفسها، حتى وإن لم تتشارك في اللغة نفسها؛ فالإيطاليون والأمريكان يشتركون في أنهم من ثقافتين منخفضتين في سياقهما (low context)، علاوة على أنهما ثقافتان تتسمان بالفردية، والجدل الذي توقعته بنيتون في الولايات المتحدة لم يكن ليحدث في ثقافات عالية السياق (high context) يكون بها الإذعان للجماعة والسلطة أكبر بكثير. ويرى إدوارد هال (Edward Hall, 1976) أن الثقافات لها أساليب وسياقات مختلفة في الاتصال، وسياقات مختلفة تعكس الفردية أو الجماعية، فالثقافات عالية السياق تميل لأن تكون ولاء أكبر لتوقعات الجماعة أكثر من الفردية، أو الثقافات الأقل

High Context Cultures
Japan
Middle East countries
Greece
Spain
Italy
England
France
North America
Scandinavian countries
German-speaking countries
Low Context Cultures

في السياق. يبين الشكل (8. 1) أن اليابان تأتي على قمة الثقافات عالية السياق بالدرجة الأعلى في الولاء لتوقعات الجماعة، بينما تتصدر البلدان المتحدثة بالألمانية الدرجة الأقل.

شكل (1.8)

قاس جيرت هوفستيد (Geert Hofstede, 1982) الأبعاد المختلفة للثقافة في دراسته عن الموظفين في شركة (IBM)، متوسعًا بذلك لأفكار السياق. يرى هوفستيد أن البلدان الفردية (مثل الولايات المتحدة وأستراليا وإنجلترا)، تكون الأهداف الشخصية لها أولوية، أكثر من تحالفها مع الجماعات، مثل العائلة أو صاحب العمل. ويتم تشجيع المنافسة أكثر من التعاون، وتأخذ الأهداف الشخصية الأولوية على أهداف الجماعة، وتؤكد هذه الثقافات على المبادرة الفردية والإنجاز. أما المجتمعات الجماعية (مثل باكستان وتايوان وبيرو)، فإن الناس فيها ولدوا في عائلات ممتدة، أو عشائر تدعمهم وتحميهم في مقابل الولاء. إن الفرد يتمتع بالاستقلال العاطفي في المنظمات والمؤسسات، حيث تؤكد الثقافة على الانتماء للمنظمات، كما أن الأفراد يثقون في قرارات الجماعة. صنف هوفستيد البلاد على أساس الفردية والجماعية، وفي الجدول (8. 2) الدرجة الأعلى تعني أن البلد تتمتع بالتوجه الفردي.

أيضًا، أظهر هوفستيد أبعادًا رئيسة أخرى للثقافة، بما في ذلك الذكورة والأنوثة، ومسافة السلطة، وتجنب الشك. والذكورة هي المدى الذي تميل فيه القيم في المجتمع إلى الذكورة، وتتقابل هذه القيم مع السلوكيات، مثل تأكيد الذات والطموح والإنجاز واقتناء المال وعلامات الرجولة، والممتلكات، وعدم الاهتمام بالآخرين، وعلى الجانب الآخر، تؤكد الأنوثة على سلوكيات الاهتمام والتغذية. والربط بين هذه القيم والذكورة أو الأنوثة دوري؛

لأن الواحدة منها تحدد الأخرى . الجدول (8. 3) يوضح أن البلاد التي حصلت على ترتيب عال تمثل توجهًا ذكوريًّا أقوى.

تمثل القوة والسلطة جزءًا من فكرة هوفستيد لمسافة السلطة؛ ففي بعض الثقافات لا يكون الناس متساوين ولهم مكان شرعي، فهم حرفيًّا بعيدون عن السلطة الحقيقية، ويتوقع منهم أن يظهروا الإذعان لأصحاب السلطة.

فالأطفال في ثقافات مسافة السلطة العالية قلما يقاطعون مدرسهم، علاوة على أنهم يظهرون إذعانًا وطاعة للسلطة، أما البلاد التي تتمتع بمسافة سلطة أقل على الجانب الآخر، مثل النمسا وفنلندا والدانمارك ترى أن عدم المساواة في المجتمع يجب تخفيضها، والناس في هذه البلاد ترى أنهم من السلطة، ويجب أن يصلوا إلى السلطة. يبين الجدول (8. 4) أن الفلبين تتصدر أعلى درجة في مسافة السلطة.

تحاول الثقافات ذات المرتبة العالية في تجنب الشك، أن تتفادى الشك والغموض، من خلال توفير الاستقرار لأفرادها، ويتم تحقيق هذا من خلال عدم التغاضي عن الأفكار والسلوكيات المنحرفة، والإيمان بالحقائق المطلقة، والحصول على الخبرات. وتميل ثقافات تجنب الشك لأن تكون على مستوى عال من القلق والتوتر، أكثر من الثقافات الأخرى؛ لأن الناس فيها يعتقدون أن عدم اليقين متأصل في الحياة، وخطر مستمر يجب تفاديه. وبالتالي تكون الحاجة ماسة لقوانين مكتوبة (كما هو الحال في البرتغال واليونان وألمانيا). وعلى الجانب الآخر، فإن بلادًا مثل السويد والدنمارك، لديها مبادرة الجوائز، وأكثر رغبة في خوض المخاطر، ولديها مرونة أكثر، وترى أنه يجب أن تكون هناك قوانين أقل بقدر الإمكان. الجدول (8. 5) يبين أن اليونان على قمة الترتيب لتلك البلاد التي تسعى لتجنب الشك.

يمكن أن تؤدي الأبعاد المختلفة للثقافة في تحليل هوفستيد إلى مشكلات اجتماعية إذا سادت بشكل كبير، وعلى سبيل المثال:

الذكورة: العنف.

تجنب الشك: كره الأجانب

الجماعية + مسافة عالية للسلطة: العمياء التابعين.

الفردية + الذكورة: الغموض، وإلغاء الشخصية.

الفكر الجماعي + تجنب الشك: عنف عرقي.

Table 8.2 Countries ranked by individualism

USA	1	Columbta	9	Hong Kong	32
Australia	2	Sweden	10	Chile	33
Great Britain	3	France	11	Singapore	34
Canada	4	Ireland	12	Thailand	35
Netherlands	5	Norway	13	Taiwan	36
New Zealand	6	Switzerland	14	Peru	37
Italy	7	Germany	15	Pakistan	38
Belgium	8	…		Venezuela	40

Source:Adapted from Hofstede (1982).

Table 8.3 Countries ranked by masculinity

Japan		Germany	9	Finland	35
Austria	2	Philippines	10	Yugoslavia	36
Venezuela	3	Columbia	11	Denmark	37
Italy	4	South Africa	12	Netherlands	38
Switzerland	5	USA	.13	Norway	39
Mexico	6	Australia	14	Sweden	40
Ireland	7	…			
Great Britain	8	Chile	34		

Source: Adapted from Hofstede (1982).

Table 8.4 Countries ranked by power distance

Phlilippines	1	France	9	Sweden	35
Mexico	2	Columbia	10	Ireland	36
Venezuela	3	Turkey	11	New Zealand	37
India	4	Belgium	12	Denmark	38
Yugoslavia	5	...		Israel	39
Singapore	6	Switzerland	32	Austria	40
Brazil	7	Finland	33		
Hong Kong	8	Norway	34		

Source: Adapted from Hofstede (1982).

obeikandl.com

Table 8.5 Countries ranked by uncertainty avoidance•

Greece	1	Turkey	11	Canada	31
Portugal	2	Mexico	12	USA	32
Chile	3	Israel	13	Philippines	33
Belgium	4	Columbia	14	India	34
Japan	5			Great Britain	35
Yugoslavia	6	Swiuerland	25	Ireland	36
Peru	7	Netherlands	26	Hong Kong	37
France	8	Australia	27	Sweden	38
Spain	9	Norway	28	Denmark	39
Argentina	10	South Africa	29	Singapore	40
		New Zealand	30		

•The authors have artificially provided a rank where some of the countries are equal in rank (for example Chile and Belgium). See Hofstede's (1982) original work for full rankings.
Source: Adapted from Hofstede (1982).

ملخص:

تنفرد كل ثقافة برؤيتها العالمية الخاصة بها، أو بتوقعاتها بشأن صناعاتها الثقافية والسلوك الإنساني وهويتها. وقد حاول العلماء تعريف أبعاد الثقافة في التواصل الثقافي؛ من أجل دفع فهمنا للاختلافات، سواء أكانت حسنة أو سيئة، وكيف أن هذه الاختلافات قد تؤثر على علاقاتنا مع الآخرين.

يعد الزمن وسياق الاتصال العالي والمنخفض أبعادًا أخرى مهمة، تؤثر على طريقة اتصال الناس، وتميل الثقافات الغربية – على سبيل المثال – لأن تكون أحادية، ويقسم الزمن إلى وحدات، وتساعد الساعة على تنظيم السلوك والأفعال. فإذا حدد شخص موعدًا لمقابلة مدير بنك في الولايات المتحدة، فإن مدير البنك حينئذ من المتوقع أن يصل في موعده أو في حدود الموعد، ولا تتبع كل الثقافات هذه القاعدة البسيطة. أما الثقافات التعددية، فإنها تؤمن بأن العلاقات أهم من مواعيد العمل.

إن اتصالنا اليومي – كيف نتحدث ونكتب ونقرأ – يتأثر أيضًا بثقافتنا، فاليابانيون يستخدمون إشارات اتصالية أكثر من استخدامهم للكلام، بما في ذلك استخدام الموقف ولغة

الجسد، وأيضًا الصمت. فالانحناء للأكبر سنًّا يمكن أن يرمز إلى العديد من الأشياء، استنادًا إلى طبيعة الانحناء. فليس مطلوبًا أي كلمات لشرحها، وهذا ما يسمى السياق العالي للاتصال، وهو غامض وغير مباشر، وفيه تناغم، كما أنه تعبير بسيط ومحفوظ. أما الاتصال منخفض السياق فهو دقيق ومباشر ومنفتح، ويستند إلى تعبيرات صريحة في نص أو حديث، ومن منطلق هذه الرؤية، فإنه كلما كانت العلاقة قريبة، وكلما كان الموقف مفهومًا، كلما قلت حاجتنا لتعبيرات صريحة (سياق عال)، وكلما كان صعبًا فهم معنى موقف ما، كلما كان هناك احتياج إلى تعبيرات صريحة (سياق منخفض). وقد تحتوي أجزاء من الثقافة الغربية على سياق اتصال عال أو منخفض. على سبيل المثال، يتطلب نظام المحاكم الجديد لشرح كل شيء وبشكل حرفي. والملابس واستخدامها في الثقافة الغربية كرموز، قد تخبرك أو لا تخبرك عن شخص ما وعن هويته، فيجب أن تسأل الناس من أين هم وماذا يشتغلون (اتصال منخفض السياق)، ولكن القسيس الكاثوليكي الروماني في ردائه الكهنوتي التقليدي، يمكن التعرف عليه بسهولة.

لم يغط المؤلفون بعد اللغة وأهميتها للهوية الثقافية بشكل مباشر، على أية حال، وكما سيأتي – بشكل واضح – فإن المؤلفين يعتقدون أن اللغة وهويتها الثقافية تؤثر بشكل قوي على أشكال الاتصال العالمي، وأن معظم المقاومة التي جاءت مع دخول الاتصال الفضائي عبر الحدود، برز من الخوف بأن الثقافات القومية أو الإقليمية أو العرقية سوف تطغى عليها الرسائل التي تحملها التكنولوجيا الجديدة، مانحة بذلك ظهور ثقافة عالمية شكلت عن قرب شيئًا يشبه الثقافة الأمريكية الشعبية المعاصرة، والتي اعتبرت كريهة، بشكل كبير، من وجهة نظر الثقافات الإسلامية مثلًا. وتتداخل الأبعاد الثقافية مع اللغة، كما أنهما ليسا منفصلين عن الاتصال الفعلي والجسدي. ويقدم الجدول (8. 6) ملخصًا للغات الحالية على الإنترنت.

ويوجد دليل تجريبي على أن الأبعاد الثقافية المختلفة، مثل الجماعية والفردية، والاتصال عالي ومنخفض السياق – موجودة ومهمة في فهمنا لكيفية حدوث الأشكال المختلفة للاتصال في المجتمعات المختلفة. ولكن سوف يكون من الخطأ أن نعتقد أن هذه الأبعاد الثقافية أو أشكال الاتصال تحدد السلوك، ويمكن أن تشكل حتمية الثقافة أو اللغة مشكلة، مثل الحتمية التكنولوجية؛ لأن المنهج الحتمي غالبًا ما يفتقد التأثيرات الأخرى على السلوك الإنساني. وعلى سبيل المثال، لا تخبرنا الأبعاد الثقافية الأخرى شيئًا عن عدم المساواة الاجتماعية (الطبقات الاجتماعية)، وهي الظاهرة المرتبطة – مثلًا – بالنوع. فقد تمثل الفردية

قيمة في مجتمع ما، ولها أبعاد ثقافية أنثوية، ولكنها لا تزال تضيف بالنوع. ويمدنا النساء عبر الإنترنت في الثقافات عالية السياق برؤية عن تعقيدات اتجاهات الإعلام العالمي وثقافته.

Table 8.6 languages on the Internet

	Per cenr of all Internet users
English	29.9
Chinese	14.0
Spanish	8.0
Japanese	7.9
German	5.4
French	5.0
Portugese	3.1
Korean	3.1
Italian	2.8
Arabic	2.6
Rest	18.2

Source: US National Virtual Translation Center (http://www.nvtc.gov/).

النساء والإنترنت: الفأر الفولاذي المقاوم للصدأ وانتفاضة بورما:

تقع الصين واليابان في نطاق الثقافات التقليدية عالية السياق، مع خضوع الفرد للمجموعة، والمرأة للرجل. ولكن يعد النمو والنشاط النسائي غير العادي في استخدام الإنترنت في هذين البلدين – وبلاد أخرى – واحدًا من أكثر الاتجاهات المثيرة في القرن الواحد والعشرين؛ ففي مطلع العام 2002 كان ما بين 40٪ إلى 50٪ من النساء الصينيات واليابانيات يستخدمن الإنترنت (Mclaren, 2003).

ويلخص ماكلارين بحثًا أجراه جوليانج وبووي في عام 2001 لاستخدام الإنترنت في خمس مدن صينية، وتم إجراء المسح على 3000 رجل وامرأة، تتراوح أعمارهم بين 17 و60 عامًا في بكين وشنغهاي وجونجزو وشينيجدو وشانجشاه. وكانت المواقع التي تستخدم اللغة الصينية الأكثر شهرة مع 67٪ من المستخدمين، 14،6٪، قالوا إنهم كانوا يدخلون على مواقع اللغة الصينية من خارج الصين، بينما 9،2٪ كانوا يزورون مواقع بلغات أجنبية. وأظهر البحث أن 72٪ استخدموا البريد الإلكتروني، وهو أشهر أدوات الإنترنت، بينما استخدم 57٪ الإنترنت للحصول على الأخبار، و52٪ للبحث عن الاهتمامات الشخصية، 50،6٪ دخلوا على غرف الدردشة، بينما 45٪ استخدموها من أجل الموسيقى والتذوق الفني، وأكدت الدراسة على الرغبة في الانفتاح والوصول إلى وجهات نظر بديلة.

لاحظ جو وبو الانفتاح النسبي لطبيعة الإنترنت، خصوصًا مصادر المعلومات وقنوات التعبير، وبصفة خاصة تفاعلية لوحات الإعلانات وغرف الدردشة، حيث يكون بإمكان المستخدمين الدفع بأفكارهم. كان أحد أهداف المسح التحقق من ما إذا كان استخدام الإنترنت له تأثير فيما يسمونه «مدى انفتاح» الفرد. والشخص «المنفتح» يعرف بأنه الشخص الذي يرغب في فهم وقبول ظاهرة غير مألوفة، وبأنه الشخص الذي يرغب في تجربة أفكار أو سلع جديدة (McLaren, 2003).

إن تكنولوجيا الإعلام الجديدة لا تقود - بشكل طبيعي - إلى بروز حالة المرآة، وهي من السهولة تهميشها. ومع أفول التسعينيات كان الإنترنت باللغة الصينية في الصين يبدو مختلفًا عن النماذج الغربية، ويلخص ماكلارين الفروق الرئيسة فيما يلي:

1- يتم التحكم في الدخول على الإنترنت من خلال الشبكات الرئيسة التي تتحكم فيها الدولة، وهو عكس ما يفعله الغرب، ويدخل الصينيون على الإنترنت من خلال البوابات مثل:

Sina.com, sohu.com, Net Ease, Chinese Yahoo!، وغيرها.

2- تمتلك الصين شبكة إنترنت وشبكات حماية (Firewall)؛ للتحكم في تدفق المعلومات والاتصال، وهناك رقابة صارمة، ورصد لحركة البريد الإلكتروني؛ حيث يتم القبض على المنتهكين ووضعهم في السجن، فهناك مركز مراقبة للأمن القومي للمعلومات. وقد وقع مقدمو خدمة الإنترنت في الغرب - بما في ذلك جوجل - بروتوكولًا للانضباط الذاتي، يمكنه إمداد المسئولين الصينيين بمعلومات عن المستخدمين. يقول زياو قيانج (Xiao Qiang) - مدير مؤسسة للصينيين في الخارج ومقرها في الولايات المتحدة، وتسمي نفسها "حقوق الإنسان في الصين": إن هناك أكثر من 30000 موظف أمن تابع للدولة يراقبون حاليًا صفحات الويب وغرف الدردشة ورسائل البريد الإلكتروني الخاص (Xiao cited in McLaren, 2003).

ويضيف ماكلارين أنه على الرغم من الجهود المكثفة غير العادية للحكومة الصينية للتحكم في التدفق المعلوماتي، إلا أن الحكومة تحارب على جبهة خاسرة. «يبدو أن كل تكتيك (أسلوب) تنهجه الدولة يقابله مقدمو صفحات الويب بسياسة مضادة (انسجامًا مع الإستراتيجية الصينية الشهيرة التي تقول: «هؤلاء الذين يتربعون على القمة يصدرون سياسة، بينما يأتي الذين تحتهم بسياسة مضادة»). وعلى سبيل المثال، عندما حاولت الحكومة

منع جوجل، أجبرت المظاهرات على الإنترنت الحكومة على قبول نسخة معدلة من محرك البحث الشهير (McLaren, 2003).

يقدم لنا ماكلارين رؤية شيقة لامرأة صينية حاولت أن تستفيد من الإمكانات التعبيرية للإنترنت، وأثناء ذلك أصبحت قضية رأي عام على مستوى رفيع، إنها لو دي، والملقبة بـ (Bu xiugang laoshu) «بو زيوجانج لاوشو»، أو الفأر الفولاذي الذي لا يصدأ، وكان عمرها في 7 نوفمبر 2002 يبلغ 22 عامًا، وكانت طالبة تدرس علم النفس في جامعة بكين للمعلمين، قبض عليها في ذلك اليوم، وتم اصطحابها إلى السجن دون إعلام أصدقائها أو أقاربها؛ لارتكابها جرائم على الإنترنت، وقد أفرج عنها بعد عام دون تهمة. حلل ماكلارين عملها المكتوب على الإنترنت من أجل لوحة إعلانات زقاق معبد الغرب (Western Temple Alleyway Bulletin Board)، وهي مجموعة نقاش تمت تسميتها على اسم الحارات والأزقة، التي تطوق المجمعات السكنية التقليدية في مدينة بكين القديمة.

يقول ماكلارين إن كتابات لودي عبارة عن مقالات غريبة وتهكمية، تأثرت فيها بروايات الروائيين الراحلين في أوربا الشرقية، وفي واحد منها تتحدى السلطات - بشكل مباشر - بتكريس مسرحية خيالية لمكتب الأمن لمقاطعة بكين وجيانسو، وتخيلها على أنها مريضة في مصحة للأمراض العقلية «المجنونة - فأرة فولاذية». من تكون هذه «الفأرة الفولاذية»؟ إنها طفلة عنيدة وفأرة ساخرة ومتآمرة خبيثة، أو «عنصر خطير خائن». تم تشخيص الفأرة على أنها متآمرة خطيرة مخدوعة ومذعورة وتموت من الضحك في نهاية المسرحية. وفي مؤلف آخر بعنوان «المؤامرة» تقول الفأرة إنها متآمرة، وتدافع الفأرة الفولاذية عن مدير الموقع، الذي تقول عنه إنه اتهم لأنه وضع محتوى على الويب من مساهم عبر البحار. «وأخيرًا اسمحوا لي أن أقدم مؤامرة مدهشة، دعونا نتحدث يومًا ما الحقيقة؟، ففي حياتنا اليومية لا نستطيع أن نتجنب قول الأكاذيب، ولكن إذا قلنا الحقيقة يومًا ما، فسوف نصبح في هذا اليوم شعبًا حرًّا، عندئذ يمكن أن نكتب عن ذلك اليوم ونرفعه على الويب؛ لنتيح لكل الناس أن يتبادلوا خبراتهم».

ينتهي ماكلارين إلى أننا قد نجد خطأ لدى لو دي؛ لاندفاعها وسذاجتها، لكنها ليست مخربة، ولكن رد الفعل العنيف للحكومة الصينية على هيامها الشبابي يبرهن على محددات حرية التعبير للنساء النشيطات.

كانت النساء بالاشتراك مع الرهبان والمدنيين هن اللاتي نظمن بفاعلية مظاهرات الانتفاضة في بورما في سبتمبر 2007 ضد الحكم العسكري، وكانت النساء النشيطات بارعات أيضًا في استخدام الإنترنت داخليًّا؛ من أجل تنظيم المظاهرات وإبراز مشكلات البلد أمام المجتمع الدولي. وعلى الرغم من أن أقل من 1٪ فقط من سكان بورما يدخل على الإنترنت، و25000 فقط من السكان لديهم بريد إلكتروني - إلا أن المدونات الإناث استطعن الإفلات من حوائط الرقابة الحكومية، وطوَّرن روابط مع السفارات في الداخل والزوار الأجانب، الذين ليس لديهم قيود على الدخول على الإنترنت.

وجدير بالذكر أن نشطاء بورما في المنفى يحصلون على دعم هائل من مواقع: الصوت الديمقراطي لبورما، والذي يعمل من النرويج، ووكالة أنباء ميزيما في دلهي بالهند. وترحب هذه المواقع النشطة بمجيء «المواطنين المحررين» للتصوير والكتابة من داخل بورما، وكتابة أخبار لصالح مجتمعات الأخبار الدولية. اعتقد الحكم العسكري أنه قطع طريق الوصول إلى الإنترنت، باستمرار حملاته على النشطاء، ولكن العديد من النساء النشيطات استطعن تسريب أخبار إلى المنفيين والجمهور العالمي.

يظهر مثال بورما - كما هو الحال مع مثال الفأرة الفولاذية - محاولات الحكومة لتبني إعلام جديد، يساهم في اقتصادياتها، ولكنه ينتهي إلى أن يتعامل مع ديمقراطيتها، وفردية الإنترنت ليست بالضرورة أن تكون متطابقة مع الاستهلاكية، ولكنها بالتأكيد مرتبطة بالاتصال التعبيري منخفض السياق، وبالتالي، لا تكون أفكار السياق العالي والسياق المنخفض ثنائيات بسيطة في بيئة الإعلام العالمية الحالية، وتتبع (OpenNetInitiative) التي أسستها جامعات أكسفورد وكامبريدج وهارفارد وتورنتو بمواقعها الخاصة - هذه التوترات والقيود على الإنترنت في كافة أنحاء العالم. ويمكن أن يسهم إعلام السياق المنخفض في ثراء الجماعة المحلية والإعلام، وهي صفة لثقافات السياق العالي.

استخدام الطوائف للإنترنت: البربر والمينيهومبي الكورية:

تبلغ عدد اللغات المنطوقة في العالم الآن 6000 لغة، منها 50٪ مهددة بالانقراض، فكل أسبوعين تختفي لغة من العالم، وتعد لغة البربر (الأمازيج) لسكان شمال أفريقيا هي الأقدم من بين لغات وثقافات العالم. وكلمة أمازيج - وهي الاسم التقليدي للبربر - تعني الشعب

الحر (Almasude, 1999). وتمتد مناطق البربر من مصر إلى موريتانيا، ومن البحر المتوسط إلى حدود جنوب الصحراء الكبرى التاريخية في أفريقيا، ويقدر عدد البربر بحوالي 20 مليونًا، موزعين على البلاد التالية:

المغرب: 8،3 مليون.

الجزائر: 7،7 مليون.

ليبيا: 2،3 مليون.

تونس: 1،2 مليون.

مصر: 500،000.

ولم تكن لغة البربر مهددة من بث الثقافة الشعبية الغربية من هوليوود أو التليفزيون العالمي؛ حيث تتمتع اللغة العربية الفصحى باحترام جم أكثر من لغات المنطقة الأخرى، وهي لغة القرآن، وتستخدم كلغة أولى في المدارس والبث التليفزيوني والأخبار والصحف والمجلات والأدب. وحتى عدة سنوات مضت كان البربر في المرتبة الثانية، حتى في أكثر المجتمعات تحضرًا في شمال أفريقيا وتونس، كان لفظ البربر يعد مرادفًا للفلاح الجاهل الذي يرتدي جلبابًا تقليديًّا. ولكن تجمع البربر من خلال تسجيل الأغاني البربرية والشعر ونشر اللغة محليًّا ثم عالميًّا، والتي بدأت عندما ظهرت أولى تسجيلات البث والإنترنت، وتحت ضغط الوعي المتنامي لموسيقى البربر، من خلال تكنولوجيا التسجيل والجمهور العالمي – شعر ملك المغرب الحسن الثاني بأنه مضطر للاعتراف بأهمية ثقافة ولغة الأمازيج في الهوية المغربية، فأدخلها ضمن المناهج الدراسية في المدارس.

تظهر الحالة الدراسية للبربر استخدام الأفراد والمجتمعات المهمشة لتكنولوجيا الإعلام؛ للحفاظ على الهوية الثقافية واللغة.أما المينيهومبي الكورية minihompy، أو الصفحة المصغرة على الويب المسماة (cyworld)، أو (عالم الإنترنت) – فإنها تظهر استخدام الإنترنت لاستعادة الإحساس الجمعي للمجتمع الكوري، ويجمع مجتمع خدمة الإنترنت من خلال الـ «cyworld» بين بناء الصفحة الرئيسة والشبكة الاجتماعية، بما في ذلك لعب الأدوار. وطبقًا لما ذكره أصحاب الـ «cyworld » فإن ربع سكان كوريا – البالغ عددها 48،2 مليون نسمة – اشتركوا على الإنترنت، ويتراوح أعمار غالبيتهم بين 24– 29 سنة. ومشتركو cyworld يحصلون على صفحتهم الخاصة، وحجرة معيشة افتراضية تسمى minihompy، حيث

يمكنهم كتابة يومياتهم ونشر صور، والتواصل مع غيرهم، وعمل خلفيات موسيقية وأشياء أخرى.

ولما كانت (cyworld) تشبه خدمات أخرى مثل فريندستر (friendster) – فإنها تجلب معها التزامات أكثر توافقًا مع ثقافات السياق العالي. وتعني كلمة «ساي cy» علاقة في اللغة الكورية، كما أن العادات الاجتماعية المرتبطة بالعلاقة تسيطر على الممارسات الاتصالية عند الكوريين، وعدم الرد على الرسالة في وقت مناسب، يعد وقاحة وأمرًا محبطًا، وتقريبًا يقضي الناس يومهم بالكامل أمام مواقعهم في كتابة ردود، أو إرسال رسائل لإقامة علاقات، ومن ثم فإن هناك بلايين من الانطباعات على صفحات الويب كل عام؛ لذلك لا تكون ثقافات السياق العالي بالضرورة مقوضة من قبل وسائل اتصال السياق المنخفض.

ملخص:

تتعرض العديد من اللغات العالمية للتهديد؛ بسبب التأثير الثقافي المهيمن على لغات الأقلية، وليست هذه قضية «الغرب»، ولكن يمكن أن تحدث عندما تكون لثقافة ما التفوق في وضع الأجندة الثقافية. قد يكون الإنترنت ووسائل الإعلام الأخرى دور ديمقراطي عند هؤلاء الذين يقاومون الحكومات السلطوية، ودور في وضع الأجندة عند هؤلاء الذين لديهم إمكانية الوصول إلى الجمهور العالمي.

التدفقات العالمية:

ترتبط هويتنا ارتباطًا وثيقًا بالثقافة التي نعيش فيها، وكلما كانت الأمم والمجتمعات مرتبطة ارتباطًا وثيقًا ببعضها البعض – من خلال التشارك الإعلامي والسياحة والتجارة والخوف من الانكماش الثقافي – فإنها صارت جزءًا من الجدل الدائر عن العولمة. ولكن عندما فكر أصحاب النظريات الأوائل في التحديث، فإنهم فكروا فيه على أساس التنمية وليس على أساس التآكل، وكانوا يميلون لأن يكونوا ثنائيين، مفترضين أن ما حدث في الثقافات الغربية، كان – حقًا – النموذج الذي يحتذى للبلاد الأخرى.

ويعد كتاب دانيال ليرنر (Daniel Lerner, 1958) «انتهاء المجتمع التقليدي The Passing of Traditional Society» – مثالًا جيدًا لتوقعات الغرب عن المجتمعات

«المتخلفة». قال ليرنر إن تصاعد التشارك الإعلامي في أي مجتمع، يميل إلى أن يزيد من التشارك في كل قطاعات النظام الاجتماعي.

(هناك ملاحظتان يبدو أنهما ترتبطان بكل البلاد - بصرف النظر عن القارة التي تقع فيها - وهما الثقافة والعقيدة.

أولًا: دائمًا ما يكون اتجاه التغيير من الإعلام الشفهي إلى النظام الإعلامي، ولا توجد حالة معروفة توضح الاتجاه المعاكس.

ثانيًا: يبدو أن درجة التغيير تجاه النظام الإعلامي، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتغييرات في قطاعات أخرى أساسية للنظام الاجتماعي، وإذا صدقت هذه الملاحظات، فإننا بذلك نتعامل مع «توجه علماني» في التغيير الاجتماعي، وهو عالمي النطاق). (Lerner, 1958, 56).

وبالطبع، تستخدم المنظمات والأفراد غير العلمانية المسار نفسه لبناء قواعد قوية ضد التحديث؛ فالعلمانية لم تعد تسيطر على الإعلام العالمي.

ولدى المجتمعات غير الغربية ما تقوله عن فكرة أن الإعلام العالمي الغربي جيد لكل الشعوب. ولقد احتلت المناظرات عن طبيعة النظام العالمي الجديد للاتصال أو المعلومات مركز الصدارة في مناقشات اليونسكو في السبعينيات؛ فقد احتل التأثير العالمي للإعلام الجماهيري وقضية التآكل الثقافي، صدارة الأولويات في المؤتمر العام لليونسكو عام 1976، عندما طالبت دول عدم الانحياز، التي لا تنتمي للغرب، بإعلان عن الإعلام الجماهيري، الذي تظاهر ضد الهيمنة الغربية على الإعلام والتدفق المعلوماتي. وبدلًا من أن تصدر اليونسكو إعلانًا، أسست اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال، والتي عرفت واشتهرت باسم لجنة ماكبرايد، وكانت إحدى مهامها تحليل مشكلات الاتصال في أشكاله المختلفة من منظور تأسيس نظام اقتصادي عالمي جديد، والمعايير التي يجب اتخاذها لتعزيز المؤسسة؛ من أجل نظام عالمي جديد للمعلومات (UNESCO work plan for 1977-1978, 19?/5 Approved s4155).

خرجت لجنة ماكبرايد بتوصيات، بأن يكون النظام الجديد أكثر عدالة وأكثر كفاءة للمعلومات والاتصال العالمي. ويمكن أن يكون هذا النظام العالمي قادرًا على:

1- تنيمة دول العالم الثالث؛ حتى يصبحوا حقيقة مستقلة، ويعتمدوا على أنفسهم، ويطوروا هواياتهم الثقافية، وهذا قد يستلزم تكييف سياسات قومية للاتصالات؛ لتتناسب

مع ظروف كل بلد، وبناء البنية التحتية، وتوزيع عادل لمصادر الاتصال العالمية المشتركة، ووضع حدود لأنشطة المؤسسات متعددة الجنسيات، ومعاملة تفضيلية للإعلام غير التجاري، علاوة على تدفق متوازن للمعلومات التقنية.

2- إتاحة الفرصة للحصول بشكل أفضل على الأخبار العالمية، وتوفير ظروف أفضل للصحفيين.

3- توفير مناخ ديمقراطي للاتصال (الوصول والتشارك، والحق في الاتصال). ويشتمل هذا على ضمانات لحقوق الإنسان، وقبول «حق الاتصال»، وإلغاء الرقابة، والاستقلال التحريري، ووضع حدود للتركيز الإعلامي والاحتكار، ووضع حدود لتأثير المعلنين على سياسات التحرير والمحتوى الإعلامي، ولفت الانتباه إلى احتياجات المرأة والأطفال والأقليات في الاتصال، علاوة على تسهيل الاتصال الأفقي.

4- تعزيز التعاون الدولي.

لم تأت توصيات ماكبرايد على هوى الولايات المتحدة، وجاءت ضد مبدئها، في أنه لا يجب أن تكون هناك قيود على تدفق المعلومات أو الاتصال في كافة أنحاء العالم. ردت الدول الأفقر بأن «التدفق» في صالح دول الشمال الثري، على حساب دول الجنوب الأكثر فقرًا؛ مما يؤدي إلى التبعية. الجدولان (8. 7) و(8. 8) يلخصان منظوري التحديث والتبعية.

Table 8.7 Modernization

1- Western societies as a model - emphasis on economic growth.
2- Causes of underdevelopment inherent in the countries themselves.
3- Focus on the nation state.
4- Emphasis on individual freedoms.
5- Mass media accorded a central role in the development process.
6- Vertical pattern of communication from the elite to the people.

Table 8.8 Dependence

1- World systems perspective development defined in terms of centre and periphery.
2- Underdevelopment ascribed to the industrialized capitalist powers of the West.
3- Information gaps underdevelopment in the periphery is prerequisite to development in the centre.
4- The mass media reinforce the dominance of the rnetropole over its satellites.
5- A country in the periphery must strive for self- reliance and liberation from the world system.
6- Emphasis on social equality.

obeikandl.com

وفكرة وجود مركز عالمي ومحيط، يؤثر على الاتصال والثقافة والاقتصاد، كانت جزءًا من مناقشة إيمانويل وولارشتاين (Immanuel Wallerstein) في: «نظام العالم الحديث: الزراعة الرأسمالية وأصول الاقتصاد الأوربي العالمي في القرن السادس عشر» (1974). اقترح وولارشتاين الماركسي، أن الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا لديها دول تابعة تعتمد عليها، ولكن هناك مراحل مختلفة من الاستغلال؛ ففي فترة التوسع الاستعماري – على سبيل المثال – كانت الدول الكبرى تأخذ مصادر الدول التابعة التي تم غزوها أو احتلالها، علاوة على أنها كانت تغير (أو تحطم) الثقافات الأصلية كنتيجة لذلك. وبمرور الوقت كانت تلك الدول تطور طبقاتها الوسطى وصناعتها، وكانت الدول الشبه تابعة الناشئة حينئذ، تستغل بدورها دولًا أخرى.

وكما نرى، فإن نظرية وولارشتاين تأتي في الاتجاه العكسي لنظرية ليرنر عن التطور / التنمية. يرى وولارشتاين المشاريع الرأسمالية على أنها استغلال كامل، كما يرى التنمية على أنها طبيعية وشيء جيد، وكلا المنهجين النظريين له نكهة الحتمية، ولكن يقدم كل من وولارشتاين وليرنر مدخلًا إلى فكرة التدفقات العالمية، وما إذا كان هناك ثقافات مسيطرة بتدفقات مسيطرة أيضًا، من شأنها أن تؤدي إلى تآكل الثقافات، أو التبعية.

وجدير بنا أن نرجع إلى بعض الخرائط المعاصرة للتدفقات العالمية؛ لكي نرى ماذا يحدث؛ فأرشيف برنستون للشبكات العالمية يرسم خرائط لأنواع مختلفة من التدفقات، من خلال المكالمات التليفونية المتبادلة للطلاب www.princeton.edu/~ina. وقد توصل هذا العمل إلى أن الأقاليم الغنية تميل إلى أن تقيم علاقات مع أنحاء أخرى في العالم، بينما يوجد شريك واحد على الأكثر عند الأقاليم الأكثر فقرًا. الشكل 8. 4 يوضح التدفقات التجارية، ويوضح أن جنوب آسيا – على سبيل المثال – لديها رابطة واحدة مسيطرة مع أوربا الغربية. الشكل 8. 5 يبين كم اتصال الدول الغنية ببعضها من خلال التليفون؛ حيث تمثل الدائرة الكبيرة في الشكل الكرة الأرضية كلها، وفتحات الدوائر الكبيرة في الوسط تظهر الروابط العميقة بين البلدان فرادى، أما الدوائر الصغيرة التابعة فهي تمثل الروابط داخل الفئات المتعددة بالألوان، هذه الفئات تمثل فئات الثروة القومية للبنك الدولي؛ فالدول الغنية لا تتحدث مع بعضها بشكل مستمر فقط، ولكن البلدان الفقيرة قليلًا ما تتصل ببعضها البعض وتسعى فقط للاتصال بالبلاد الغنية.

وتخبرنا هذه الخرائط أن هناك هيمنة أمريكية وغربية على التدفقات التجارية والتليفونية، وتمتد الهيمنة إلى الإنترنت والإعلام وتدفقات المعلومات كما رأينا عند Bagdikiv (2004), Bayd- Barrett (2007), Thussu (2006, 2007)، علاوة على آخرين. استخدم توسو (Thussu, 2007) في سياق استخدام الإعلام للتعبير – «التدفقات الإعلامية المسيطرة» و«تدفقات الأتباع / التابعين»؛ لكي يصف الموقف الحالي.

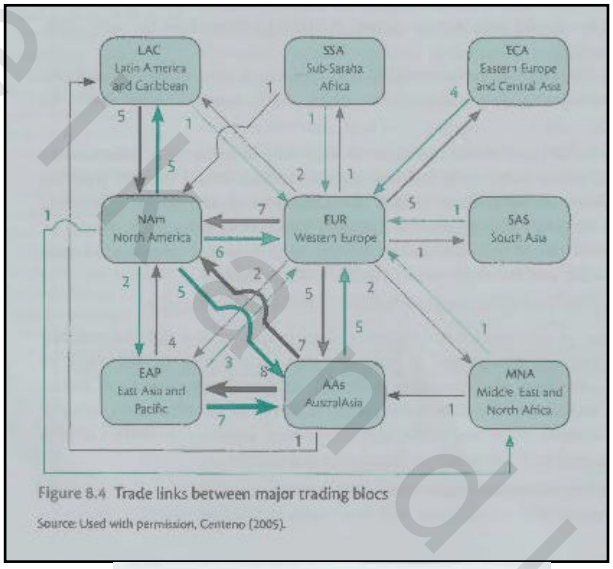

Figure 8.4 Trade links between major trading blocs

Source: Used with permission, Centeno (2005).

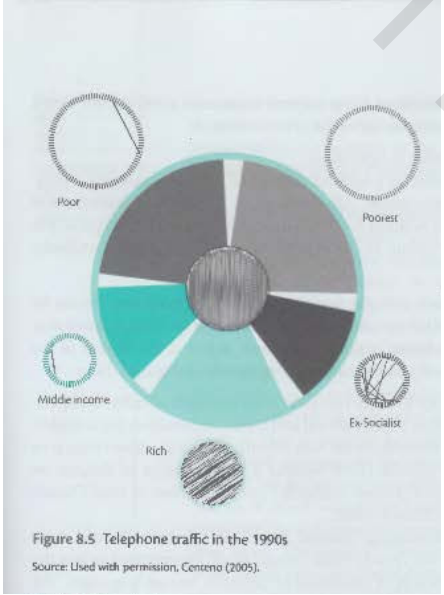

Figure 8.5 Telephone traffic in the 1990s

Source: Used with permission, Centeno (2005).

وتعد تدفقات التابعين طبقة ثانية للاعبي الإعلام الدوليين، كما تشتمل على تدفقات خاصة ورسمية تتم تحت رعاية، مثل: صناعة الفيلم الهندي (بوليوود) وشبكة إم – نت ويورونيوز وTV5 وراديو فرانس إنترناسيونال والجزيرة، وغيرهم. كل هؤلاء المنشئين للتدفقات الإعلامية عبر البحار لديهم حضور إقليمي قوي، وإن كانوا يستهدفون جماهير خارج دوائرهم الأساسية (Thussu, 2007, 12).

يرى توسو أن العولمة glocalization مركزية؛ لزيادة سرعة تدفقات الإعلام الغربي: «إن ما يبرز الآن هو منتج إعلامي عالمي محلي، يتوافق مع وصفه سوني (Sony) بأنه «المحلية العالمية global localization»، وهو ما يعني محتوى إعلاميًّا، وخدمات تم تصميمها لمستهلكي ثقافة بعينها، وليس لمجرد أي اعتبار للثقافات القومية، ولكن من أجل حتمية اقتصادية».

لا تعطي التدفقات العالمية صورة عن التآكل الثقافي، حتى على الرغم من أنها قد ترمز للتبعية، وإن لم تكن تبعية فإنها ترمز إلى السيطرة على التدفقات نفسها. وقد أبرزت المناظرات الخاصة بتدفقات المحتوى الإعلامي مشكلات التآكل الثقافي، أو الإمبريالية الثقافية. يقول هربرت شيلر (Herbert Schiller, 2000, 101) – خبير الاقتصاد السياسي – إن تأثير المؤسسة يعم تقريبًا كل شكل من أشكال المجتمع، بدءًا من الأشياء البسيطة، مثل الرِّجِيم اليومي والملابس التي نرتديها، إلى أمور على نطاق أوسع، مثل طريقة اتصالنا ببعضنا البعض. ويرى شيلر أن تأثير المؤسسة عالمي، ويعرف الإمبريالية الثقافية على أنها:

«مجموع الإجراءات التي من خلالها يدخل المجتمع النظام العالمي الحديث، وكيف تم اجتذاب طبقته المسيطرة، ووضعت تحت ضغط، وأجبرت في بعض الأحيان ودفعت إلى تشكيل مؤسسات اجتماعية؛ للتوافق مع أو حتى الدعاية للقيم والهياكل للمركز المسيطر في النظام»، والمركز المسيطر عند شيلر هو الرأسمالية (1976، 9).

يقدم جون تومليسون (John Tomlinson, 2001) بعدًا تحليليًّا لأحاديث وتعريفات الإمبرالية الثقافية والإعلامية، وبعد البحث في القاموس، فإن تعريف الإمبريالية الثقافية هو: «استخدام القوة السياسية والاقتصادية؛ لإعلاء ونشر قيم وعادات ثقافة أجنبية على حساب ثقافة أصلية». ويرى تومليسون أن لحظة من التأمل سوف تظهر لنا أن ممارسة مشاهدة التليفزيون، لا يمكن أن تكون مفروضة بشكل مباشر؛ فَنِيَّة الذين يبثون لا تكون مباشرة في

إعلاء ونشر قيم وعادات، وأن فكرة الإجراء على حساب ثقافة أصلية يشكل غموضًا حادًّا (2001، 3).

إن الهدف من هذه المناقشة ليس ترويعك للابتعاد عن مفاهيم الإمبريالية الثقافية، ولكن للتأكيد على أن المناظرات المتعلقة بالإمبريالية الإعلامية معقدة. من المفيد أن ننظر إلى بعض النظريات الذين حاولوا إظهار كيف تعمل الإمبريالية الإعلامية.

التآكل الثقافي (cultural abrasion):

عندما تحدث النظم الإعلامية في الثقافات المحلية تآكلا في الهيمنة الثقافية.

الانكماش الثقافي (cultural deflation):

عندما تختفي ثقافة محلية بالانكماش من خلال وسيط ثقافي.

يحدث التآكل الثقافي عندما تكون النظم الإعلامية بمثابة عوامل تآكل ثقافية، وتنتج في الثقافات المحلية خوفًا من الهيمنة الثقافية. أما الانكماش الثقافي فهو في اللغة اللاتينية «القذف بعيدًا»، وهي تعني أن الثقافة المحلية حملت بعيدًا من خلال عامل/ وسيط ثقافي يعمل على التآكل، وهذه حالة خاصة؛ حيث تكون عناصر الثقافة المحلية ضعيفة، إلى حد أنه يمكن اقتلاعها من خلال اتصالها بوسيط إعلامي أجنبي. أما العزل الثقافي، فيحدث عندما يتبنى الناس قيمًا أجنبية على حساب قيم أخرى. وأخيرًا، القفزات الثقافية، وهو شبيه بالعزل، ولكن في هذه الحالة تساعد النظم الإعلامية على تحفيز الثقافة المحلية على التعبير (Varan, 1998).

العزل الثقافي (cultural deposition):

يحدث عندما يتبنى الناس قيمة أجنبية على حساب قيمة أخرى.

القفزات الثقافية (cultural saltation):

عندما تعمل النظم الإعلامية الأجنبية على تحفيز الثقافة المحلية على التعبير.

والمثال البسيط هو دينم جينز، فعند ثقافة ما يكون ارتداء الجينز مؤثرًا على أسلوب اللبس بشكل درامي، لدرجة أنه يغير مفاهيم الموضة، بما في ذلك مفهوم الجنس (ذكر أو أنثى) «تآكل ثقافي». وفي ثقافة أخرى، يكون ارتداء الجينز تعبيرًا عن تغير طفيف في الرموز والقيم (قفزة ثقافية). مارس الديكتاتور الشيوعي الروماني نيكولاي شاوشيسكو الانكماش الثقافي لأول مرة، عندما قرر زيادة حجم التسلية في برامج التليفزيون الروماني؛ حيث اعتقد أن التسلية لن تسبب ضررًا للنظام الحاكم، وأنها قد تقلل من الإضرابات الداخلية بسبب الأوضاع الاقتصادية، ومن ثم اشترى مسلسلات تليفزيونية مثل دالاس (Dallas) من الولايات المتحدة، ووانديين لاين (Ondin Line) من المملكة المتحدة، وكانت ضربة ساحقة من الشعب الروماني، ووصل الأمر إلى أن تأكد شاوشيسكو من أن الشعب الروماني لم يعد يشاهد البروباجندا الشيوعية، بما في ذلك الشعر الذي كان يقرأ على شاشة التليفزيون في مدح الديكتاتور الشيوعي – فقرر إلغاء العروض الأجنبية، وتحديد وقت الإرسال التليفزيوني إلى ثلاث ساعات في اليوم، تبث فقط البروباجندا الشيوعية، بما في ذلك بروباجندا كوريا الشمالية المتطرفة المستوردة، والتي تظهر كيف أن الأمريكان كانوا يغلون الأطفال في الزيت. كانت نتيجة أفعال شاوشيسكو أن المواطنين والمؤسسات الحكومية قاموا بأعمال تخريب، حتى أن هوائيات التليفزيون غير الشرعية كانت تصنع في المصانع الحكومية، وتثبت فوق أسطح المنازل؛ لالتقاط الإرسال التليفزيوني من المجر الأكثر تحررًا، أو مشاهدة برامجها. يعرض الفيلم الوثائقي لد «بي بي سي» قوة المسلسلات (the power of soap)، وهو جزء من «لدينا ما يجعلك تفكر we have ways to making you think» – أن سقوط النظام الشيوعي في رومانيا كان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بمواجهته مع التليفزيون، وأفعال الديكتاتورية في منع برامج التسلية.

من الممكن أن تحدث ردود أفعال مختلفة ومحيرة أحيانًا؛ بسبب إدخال وسيلة جديدة للثقافة. قارنت الدراسة التي أجراها جرانزبيرج (Granzberg, 1985)، على مدار ثمانية أعوام، على مجتمعات الجونكيان الأصليين في شمال كندا، حيث قارن بين سكان قرية أتيحت لهم خدمات التليفزيون الفضائي، وسكان قرية أخرى لم تتلق نفس الخدمة إلا بعد وقت متأخر. توصلت الدراسة إلى أن الأطفال الذين تعرضوا للتليفزيون أصبحوا أكثر عدوانية، ورأوا أنهم كنديون، وأيضًا فاقت الموسيقى الشعبية في مبيعاتها الموسيقى التقليدية، وكانت

هذه حالة النحر. «وفي تحول مدهش، لم يعد الاتجاه نفسه إثر التحكم في المواجهة النهائية للسكان في التليفزيون . بمعنى آخر، في الوقت الذي بدا فيه أن التأثيرات المباشرة والفورية المرتبطة بالتليفزيون كانت واضحة في المعاملة المبدئية للسكان - فإنها لم تحدث عندما كانت المحاولة من أجل السيطرة على الشعب. كيف يمكن شرح مثل هذه المواجهات المتناقضة؟» (Granzberg, 1985).

توصل جرانزبرج (1985) إلى أن القرية التي تعرضت للتليفزيون، رأت الوسيلة على أنها امتداد لنظام اعتقاداتها، أما القرية التي لم تكن قد تعرضت بعد للتليفزيون رأت أن الوسيلة كانت تمثل تهديدًا. «على سبيل المثال، كان كبار السن في القرية التي تمت معها المحاولة يحلمون بوصول التليفزيون، وأدخل أولياء الأمور التليفزيون ضمن تقاليدهم، شارحين لأطفالهم كيف أن التليفزيون كان مثل «خيام السحر» التي كان يقيمها الكهنة والعرافين. أما هؤلاء القرويون في المجموعة المحكمة فقد استخدموا تقاليد مشابهة كدليل على شرور التليفزيون، مثل الرجل الأبيض الشرير الذي يقبض على أرواح الناس ويحولهم إلى مجانين» (Varan, 1998).

ويستنتج فاران أن المجتمعات الأصلية ترى أن الكفاح من أجل الحفاظ على الثقافة سوف يستمر، وسوف تقاوم الثقافات الأصلية محاولات تآكل طريقتهم في الحياة وقيمهم.

ملخص:

تعرف الإمبريالية الثقافية - في حدها الأدنى - بأنها هيمنة ثقافة على أخرى، والإمبريالية الإعلامية هي امتداد لهذه الفكرة، والإعلام هو الوسيلة لهذه الهيمنة. ولكن ما يحدث من الناحية التجريبية، يمكن أن يكون معقدًا، ويشتمل على مستويات مختلفة للهيمنة أو تآكل للثقافات.

حالة دراسية:

ليس بالضرورة أن تكون مشكلة التآكل الثقافي مشكلة دولية، فعلى سبيل المثال، أبرز مركز الاتصال والمشاركة المدنية في جامعة واشنطن، (http://depts.washington.edu/ccce/home.htm) - الحاجة إلى مشاركة نشطة من المواطنين ضد تجاوزات حقوق الإنسان، أو تقليص الحقوق المدنية، حتى في حالة عدم تطابق

الأفراد في مواجهة الحكومات التنفيذية والقوة المؤسسية، وبالتالي ظهر التشويش الثقافي كواحدة من هذه الوسائل النشطة. إنها محاولة لعكس والاعتداء على معنى الرموز الثقافية، التي تهدف – بصفة أساسية – إلى دفعنا لشراء شيء ما أو شخص ما (Jordan, 2002, 102). إنه اعتراض أو رسالة مضادة تخترق طريق اتصال مؤسسة؛ من أجل إرسال رسالة – بشكل صارخ – مع الشخص الذي كان مقصودًا بها (Klein, 2000, 281).

ويقدم بارت كامارتس (Bart Cammarets, 2007) أمثلة للتشويش السياسي الذي يستخدم ممارسات التشويش الثقافي. استبدلت حركة السلام الأخضر (Greenpeace) للبيئة في حملتها «stopESSO» – الـ S بعلامة الدولار الأمريكي US-dollar، عندئذ قررت شركة (Esso/Exxon/Mobile) أن تقاضي (Greenpeace)؛ لخرقها حقوق الملكية لشعارها وتشويه سمعتها. وفي رد فعل للقضية المرفوعة ضدها شنت (Greenpeace) دعوة لعامة الناس لاستخدام شعار (Esso) في رسوم تشويشية، وكانت النتائج شعارات بارعة، ولكنها زائفة (Cammarets, 2007, 72).

إن كلمة (Meme) تشكل وحدة الاتصال الأساسية في التشويش الثقافي، وهي رموز تحفز المشاهدة والكتابة والموسيقى أو التوافقات السلوكية. ويستخدم المشوشون على الثقافة هذه الرموز (meme)، بطرق تجعل الناس يفكرون في سلوكياتهم واعتقاداتهم، وتعد الرسالة الإلكترونية المتبادلة بين جونا بيريتي مع نايك (Nike)، بخصوص الطلب الذي أرسله عبر الإنترنت لوضع كتابة على حذاء له – من التشويش الثقافي التقليدي، فموقع (Nike) على الإنترنت يسمح للناس أن يطلبوا وضع جمل خاصة على أحذيتهم. وطلب بيريتي من (Nike) أن يضع كلمة «محل حلويات» على حذائه. و(Nike) فعلت ذلك بدون دهشة، وكان هذا بسبب أن عنده حساسية من عمل أي شيء بخصوص محلات الحلويات؛ لأنه اتهم باستخدام العمالة الرخيصة لمحلات الحلويات في البلاد النامية؛ للإقلال من تكاليفه وزيادة أرباحه، وكانت النتيجة أن الرسائل المتبادلة بين بيريتي و(Nike) تم نشرها في كل العالم.

آدباسترز (www.adbusters.org) مثال آخر للتشويش الثقافي، فهي شبكة مكونة من فنانين نشطاء وكتاب مهرجين وطلاب ومعلمين ورجال أعمال، الذين يعملون – كما يقول الموقع – على تحدي الطريقة التي تتدفق بها المعلومات، والمؤسسات التي تمارس السلطة، وأيضًا على الطريقة التي تضع بها الشركات متعددة الجنسيات جداول أعمالها. إنهم ينخرطون

في «نقد مخيف ضد الشركات، فآدباسترز يسلك طرقًا سياسية جدلية، بطريقة لا تساعده على الحصول على أي إصدارات، تعتمد على دخل الإعلانات أو أي تمويل». (www.adbusters.org).

إن من يملك الإعلام ويحصل على ربح منه – فإنه بالطبع يلعب دورًا رئيسا في ما يحدث مع تدفقات المعلومات والاتصال على المستويين القومي والعالمي؛ فالاتجاه العالمي هو الاتجاه نحو تركيز الملكية والاندماج الرأسي لصناعات الإعلام.

الملكية الإعلامية:

نشرت أولا كارلسون – من مركز نورديك للمعلومات وبحوث الإعلام والاتصال (NORDICOM)، التابع لجامعة جوتبورج في عام 2003: «ظهور وسقوط النظام العالمي للمعلومات والاتصال، ثم ماذا بعد؟ من رؤية التنظيم الدولي إلى حقيقة التحكم في المستويات المتعددة». يحتوي التقرير على وجود «نظام عالمي جديد» من النوع الذي تم الإعلان عنه في السبعينيات. «نعيش الآن في حقبة التحكم متعدد المستويات لنظام الإعلام، وهو التداخل بين عوامل عديدة مختلفة، عامة وخاصة، على مستويات متعددة، تتراوح بين المحلي والعالمي» (Carlsson, 2003, 34).

إن حقيقة مشهد الإعلام الحديث – كما رأينا – معقد للغاية، وتخفيض هذا المشهد إلى عوامل سببية بسيطة، لا يساعد على تحليل هذا المشهد. على أية حال، لا يعني هذا أن مشكلات الملكية والتنظيم الإعلامي لم تعد مهمة، فتركيز الملكية يتم التخطيط له على أساس مستمر، من خلال مجموعات مستقلة، مثل مجموعة مازر جونز (Mother Johns) «صحافة ذكية وغير خائفة» (http://www.motherjones.com)، وأيضًا كولومبيا جورناليزم ريفيو (Columbia Journalism Review) (http://cjr.org/resources/).

أظهر تقرير (NORDICOM في 2003، كيف هيمنت الشركات العملاقة على مبيعات الإعلام، كما هو موضح في الجدول 8. 9، وقد انخفضت ملكية هذه المجموعة الآن إلى ثمانية فقط. وتمتلك كل من هذه المؤسسات مجموعة تابعة في نطاق إعلامي، يتراوح ما بين الراديو والتليفزيون والإنترنت وناشري كتب، علاوة على أنها تشتمل على مؤسسات إنتاج وتوزيع، تقف وراء هذا الإعلام (تكامل رأسي)، وفي الوقت نفسه، تغيرت كثافات، والوصول إلى الإعلام.

جدول 8. 10 يكشف لنا عن الاتجاه الرامي لانتشار أكبر للإعلام، في البلاد الأقل نموًّا في العالم.

Table 8.9 The largest media corporations in the world, by media sales volume 2001 (US$ billions)

1	**AOL Time Warner USA**	**38**
2	**Viacom (Inc.) USA**	**23**
3	**Vivendi Universal France/USA**	**19**
4	**The Walt Disney Company USA**	**16**
5	**Bertelsmann AG Germany**	**15**
6	**News Corporation Australia**	**13**
7	**Sony Corporation Japan**	**9**
8	**Reed Elsevier The Netherlands**	**7**
9	**Gannett Co., Inc. USA**	**6**
10	**Pearson PLC Great Britain**	**6**

Source: Carlsson (2003).

Table 8.10 Media densities in the world 1970 and 1997. Units per thousand inhabitants

	Daily newspapers		Radio receivers		TV sets	
	1970	1996	1970	1997	1970	1997
The world, total	107	96	245	418	81	240
Africa	12	16	93	216	4.6	60
America	170	141	698	1017	209	429
Asia	49	66	81	255	20	190
Europe	281	261	465	29	205	446
Oceania	269	227	779	1071	188	427
Least developed	4.5	8	56	142	0.5	23
Developed	292	226	643	1061	263	548

تلعب الثقافة دورًا في نشر الإعلام والتحكم فيه؛ فالثقافات القومية المختلفة لها مفاهيم مختلفة، فيما يتعلق بحرية إعلامها وتنظيم المحتوى والملكية؛ فبعض البلاد – على سبيل المثال – لديها قوانين رقابة مقيدة، تؤثر على كيفية صناعة الإعلان والأخبار والبرامج، فإظهار أرجل نساء عارية في إعلان، ممنوع في البلاد العربية، بينما يسمح به في البلاد الغربية، كما أن كتابة قصة إخبارية تنتقد القيادات قد يعرضك للقتل في بلد، وتأخذ عليه مكافأة في بلد آخر.

obeikandl.com

نماذج التنظيم وحرية الإعلام:

قدم سيبريت وبيترسون وشرام (Siebert, Peterson and Schram, 1963) واحدة من المحاولات المبكرة لوضع تصورات للطرق المختلفة التي كانت تتبعها الشعوب في تنظيم إعلامها، وقد توصلوا إلى أربعة مداخل للتنظيم، وهي الأنظمة السلطوية والليبرالية والشيوعية والاشتراكية. لا تتيح النظم السلطوية النقد على الملأ للدولة، أو قيادة الدولة من خلال الإعلام؛ حيث تكون الملكية في هذا النظام للحاكم، سواء أكان على صورة حزب أو أشخاص، ومهمة الإعلام في هذا النظام تعمل على دعم الدولة أو القيادة، أما النماذج الليبرالية فهي تفصل بين الدولة والإعلام؛ حيث لا توجد قيود على النشر قبل الإصدار، وتكون الملكية خاصة، وتكون مهمة الإعلام هي الإعلام والتحليل والإمتاع، أما النموذج الشيوعي فيقوم على التحكم في الإعلام، من خلال الحزب الشيوعي، ويقوم على خدمة أهداف الحزب، ونظريًّا يخضع الإعلام في هذا النظام للشعب. أخيرًا، النموذج الاشتراكي، وهو يمنع نشر المعلومات التي قد تضر بالمجتمع، أو تتدخل في الحقوق الشخصية، وتوجد له ملكية خاصة، ولكن يوجد تداخل أكبر من الحكومة، أكثر مما يحدث في النموذج الليبرالي، والمسئولية الاجتماعية للإعلام أهم بكثير من الحرية، والهدف من الإعلام هو الإعلام والتعليم؛ من أجل تحقيق التقدم الاجتماعي. وقد طرأ تحديث لهذا النموذج بما في ذلك تصنيف ألتشول (Altschull 1984)، الذي يفرق بين السوق (العالم المتقدم) والشيوعية (العالم الثاني) والنامي (العالم الثالث). لقد اختفت الكتلة الشيوعية السوفيتية، ولم يعد لها وجود، وإن ظلت أفكارها الفلسفية باقية.

لقد حاولت بعض المنظمات غير الربحية - مثل فريدم هاوس (http://www.freedomhouse.org) - أن تعيد للحياة أشكالًا مختلفة من تنظيم الإعلام، من خلال دول مختلفة. في تصنيفهم لحرية الصحافة، يرتب فريدم هاوس عدة أسئلة، بخصوص الأبعاد القانونية والسياسية والاقتصادية، يشتمل التصنيف البيئي على أسئلة ترتب التأثير الإيجابي للضمانات القانونية والدستورية؛ للحفاظ على حرية التعبير، والأشكال السلبية المحتملة للتشريع الأمني، ووجود إمكانية استخدام تشريع حرية المعلومات، واستقلال القضاء والهيئات التشريعية للإعلام الرسمي، ومتطلبات تسجيل منافذ الإعلام والصحفيين، وأخيرًا قدرة مجموعات الصحفيين على العمل بحرية، وتشتمل البيئة السياسية على أسئلة، تقيم درجة التحكم السياسي في محتوى الإعلام الإخباري، واستقلال التحرير عن الإعلام الحكومي والخاص، وسهولة الوصول إلى المعلومات والمصادر، والرقابة الرسمية

والرقابة الذاتية، وحيوية وسائل الإعلام، وقدرة كل من المحررين الأجانب والمحليين على تغطية الأحداث بحرية ودون تحرش، علاوة على السجن والاعتداءات العنيفة والتهديدات الأخرى. وتشتمل البنية الاقتصادية على أسئلة عن هياكل ملكية الإعلام، والشفافية، وتركيز الملكية، وتكاليف إنشاء مؤسسات إعلامية على الإنتاج والتوزيع، وحجب أو منع الانتقائية للإعلان، أو الدعم الحكومي أو من أي جهات أخرى، وتأثير الفساد والرشوة على المحتوى، وأخيرًا المدى الذي يؤثر فيه الموقف الاقتصادي في بلد ما على تطور الإعلام. الجدول 8. 11 يقدم تصنيف حرية الصحافة عن عام 2007.

Table 8.11 Countries ranked by power distance

philippines	1	France	9	Sweden	35
exico	2	Columbia	10	Ireland	36
'enezuela	3	Turkey	11	New Zealand	37
ndia	4	Belgium		Denmark	38
ugoslavia	5			Israel	39
ngapore	6	Switzerland	32	Austria	40
razil	7	Finland	33		
Hong Kong	8	Norway	34		

Source: Adapted from Hofstede (1982).

تلعب الأخبار العالمية دورًا رئيسًا في تداول الأفكار عن الدول الأخرى وثقافاتها. الجدول رقم 8. 12 يقدم لمحة عن المناطق الأكثر تلقي للقصص الإخبارية من خارج بلادهم. من الشيء المدهش أن الصين وأستراليا ونيوزيلندا ظهرت الأقل في هذا الشأن، وعلى الرغم من أن بيانات ستيفنسون (Stevenson 1994) قديمة نسبيًّا، ومن الصعب الاحتفاظ بمثل هذه البيانات محدثة – إلا أن هذه الأرقام تقدم رؤى مهمة في تأثيرات الثقافة على اختيار الأخبار.

Table 8.12 A region's interest in news stories about itself, as a percentage of all news received

Australia and New Zealand	56
Eastern Europe	80
Japan	78
China	64
Middle East	85
North America	80
Southern Africa	80
Latin America	92
Western Europe	63

Source: Adapted from Stevenson (1994)

obeikandl.com

إن وضع أجندة الأعمال الدولية يؤثر على ما قد تراه الثقافات الفردية من القليل الذي تختاره، والذي يعد مهمًّا بالنسبة لهم، وتقع الأزمات الإنسانية - بصفة خاصة - في هذا التصنيف. فعندما كانت تحدث مذبحة الـ 800،000 لفصائل التوتسي (Tutsi) على أيدي الهوتو (Hutu) - ركز البث العالمي للأخبار على قضية مصرع أو. ج. سمبسون (O.J.Sumpson). نلاحظ من الشكل 8. 6 أن الكتابة عن راوندا، نالت اهتمام البث الإخباري، عندما وصلت أزمة اللاجئين إلى الذروة.

Table 8.6 languages on the Internet
Per cenr of all Internet users

English	29.9
Chinese	14.0
Spanish	. 8.0
Japanese	7.9
German	5.4
French	5.0
Porcugese	3.1
Korean	3.1
Italian	2.8
Arabic	2.6
Rest	18.2

Source: US National Virtual Translation Center (http://www.nvtc.gov/).

تظل ملكية وكالات الأخبار الرئيسة العالمية - التي تعمل على توزيع الأخبار عن ما يحدث في كل بلد - قيد الاحتكار، ولكن طالما تزداد أهمية الإنترنت في توزيع الأنباء، فإن طبيعة هذا الاحتكار سوف تتغير.

وكالات الأخبار وتجميع الأخبار:

تعمل وكالات الأنباء على جمع القصص الإخبارية من كافة أنحاء الكرة الأرضية، وتضع الأجندة للاختيار المحتمل للأخبار المتوفرة لمنافذ الأخبار المحلية. تشتمل هذه الأخبار على الصورة المتحركة من أجل التليفزيون ، ولقطات الصور من أجل الصحف والمجلات، والاثنتان معًا للبث الإلكتروني. وقد هيمنت يونايتد برس إنترناشيونال (UPI) ورويترز، ووكالة الأنباء الفرنسية (AFP) - على هذا التدفق الإخباري في الكرة الأرضية.

تقول كريس بيترسون (Chris Paterson, 2006) إن ظهور جامعي الأخبار في بيئة الإنترنت، يعد إشارة على استمرار الهيمنة على الأخبار العالمية من قبل قلة. وليس هناك شك في أن المجتمعات الأوربية تتوصل إلى الأخبار من خلال الإنترنت؛ حيث قال 23٪ من

الأمريكان عام 2001 إنهم يدخلون على الأخبار من خلال الإنترنت، ووصل العدد إلى 42٪ في عام 2004 (Paterson, 2006).

بحلول عام 2001 كان هناك نوعية مهيمنة من مقدمي الأخبار على الإنترنت. كان النوع الأول هو التكتلات الكبيرة التي تمرر محتوى وكالة الأنباء للجمهور، وكان ياهو (Yahoo) أول شركة تقيم – في منتصف التسعينيات – علاقة مع وكالة الأنباء البريطانية رويترز. أما النوع الثاني فقد جمع بين المحتوى الأصل، الذي كتبه صحفيون، ومحتوى وكالة الأنباء، هذا النموذج تمثله الـ (بي بي سي) ونيويورك تايمز.

جامعو **الأخبار (News aggegator)**:
يقومون بتقديم وصف للمواقع أو محركات البحث التي تختار وتخزن الأخبار من أي مكان على الإنترنت.

ظهر مصطلح جامعي الأخبار ليصف المواقع، أو محركات البحث التي تقوم باختيار وتخزين ووصل الأخبار من أي مكان على الإنترنت، انتهت جوجل نيوز وياهو إلى أن تكون جامعة للأخبار من آلاف مصادر الأخبار، ولكن إعادة إنتاج محتوى وكالة أنباء، أدى الى رفع دعاوى قضائية ضد جوجل في عام 2005؛ حيث لم تدفع جوجل أتعاب الأخبار التي تم إنتاجها مباشرة في وكالات الأنباء، وقاضت وكالة الأنباء الفرنسية (AFP) جوجل من أجل دفع 16،5 مليون دولار؛ لخرق حقوق الملكية الفكرية، وأزاح جوجل أخبارها، ووافق على إعطاء الوكالة نماذج من محتوى أخبارها (Cozans, 2005). كان موقف جوجل أن عناوين الأخبار ليست محمية بموجب حقوق النشر، على الرغم من أن هذا ليس هو الحال في الولايات المتحدة. ويقول موقع جوجل أيضًا إن وضعهم لينكات أو وصلات لمحتوى AFP على مواقع عملاء AFP يجلب الربح وليس الخسارة لـAFP، وهو ما يزيد احتمالية أن ترى المحاكم الأمريكية أن جمع الأخبار هو استخدام عادل للمادة المنسوخة (Paterson, 2006).

يذهب غالبية الجمهور لجامعي الأخبار أو الخدمات الإخبارية؛ فـ 64٪ من مستخدمي الإنترنت في الولايات المتحدة يدخلون على موقع أخبار التليفزيون القومي مثل الـ (سي إن إن) أو (إم إس إن بي سي)، كما أن 39٪ يدخلون على جامعي الأخبار مثل ياهوو أو جوجل

(Harigan, cited in Paterson, 2006). يوضح الجدول 8. 13 أعلى خدمات إخبارية في الولايات المتحدة.

Table 8.13 Top online news services in the United States

Corporation	Audience
Microsoft	52,873,000
Google	45,069,000
Yahoo!	44,111,000
Time Warner	40,895,000
New York Times Company	21,118,000
News Corp. Online	20,867,000

يستنتج بيترسون أن هذا سوف يترك عالم الأخبار باللغة الإنجليزية على الإنترنت، في أيدي أربعة مؤسسات فقط، تقوم بعمل تقارير عالمية مكثفة، بما في ذلك رويترز وإيه بي وإيه، إف بي، وبي بي سي، «وقليل آخرون يقومون أيضًا بعمل تقارير دولية، مثل الـ CNN وMSN وNew York Times والـ Guardian، علاوة على بعض القلة من الصحف الكبيرة وشركات البث، وغالبيتهم لا يقدم تقاريرًا دولية أصلية» (2006).

الإعلام الراديكالي والمتمرد:

نتج عن احتكار خدمات الأخبار العالمية أخبار متجانسة، تميل إلى أن تكون لطيفة؛ لأنها تسعى لجعل نطاق من الجمهور المحلي سعيدًا.

وعلى الرغم من شعبية جامعي الأخبار بين جماهير الأخبار الحديثة، إلا أن هناك أيضًا إعلام راديكالي ومتمرد، يجذب جماهير أخبار على نطاق واسع.

فقد ظهرت إنديميديا (Indymedia) بنسب غريبة باعتبارها موقعًا إخباريًّا لإعلام راديكالي (Jankowski and Jansen, 2003). تأسست إنديميديا (المركز الإعلامي المستقل) كنتيجة للاحتجاجات أمام مؤسسة التجارة العالمية (WTO) في سياتل عام 1999. وتأسس الموقع لتوزيع الأخبار المستقلة عن ما كان يحدث، بما في ذلك الفيديوهات الوثائقية. ومنذ ذلك الحين ظهرت إنديميديا كظاهرة عالمية، لها جماعاتها التي تأسست في كل أنحاء العالم.

تبنى جانكوويسكي وجانسن (Jankowski and Jansen, 2003) من أتون نموذجًا لوصف الإعلام البديل الذي يوضحه الجدول 8. 14. والسمتان الرئيستان اللتان تميزان الإعلام البديل، هما ديمقراطية وجماعية عملية الإنتاج، والالتزام بالتجريب. ويقارن

جانكوويسكي وجانسن هذا النموذج مع الهيكل التنظيمي لإنديميديا، والروح، كما هو موضح في الجدول 8. 15.

Table 8. 14 Typology of alternative media

Product
Radical formulation of political, social and cultural positions
Redefinition of traditional news values
Innovative presentation through language and illustrations
Adaptation of conventional production technologies process
New modes of media distribution
Redefinition of copyright and use regulations
Transformation of conventional journalistic roles
Horizontal organizational structures and working networks

Table 8. 15 Typology of lndymedia features

Policies and Principles
Collective ownership and management
Open access
Transformation of copyright and use regulations
News construction and production
Redefinition of news
Transformation of conventional codes of news production
Limited editorial restriction
Involvement of non-professionals
Fusion of standard one-way publication with interactive communication
Contextual components
Distribution via electronic networks
Intertwining of local and global issues
Emphasis on movement-based news, demonstrations and protests

ويوضح الشكل 8. 7 واحدة من الدعاية لإنديميديا، وبصرف النظر عن النجاح أو الفشل الذي قد تحققه إنديميديا في المستقبل – يبدو واضحًا أن الإعلام الحديث يقدم الاحتمال للتعبير عن التفكير الراديكالي، انظر بولر (Boler, 2008) في مناقشة معاصرة عن استخدام الإعلام الإلكتروني في تشكيل الحركات السياسية والاجتماعية.

Table 8.7 Modernization

1- Western societies as a model
emphasis on economic growth
2- Causes of underdevelopment
inherent in the countries themselves
3- Focus on the nation state
4- Emphasis on individual freedoms
5- Mass media accorded a central role
in the development process
6- Vertical pattern of communication
from the elite to the people

ملخص:

يوجد لدى الإنترنت أصوات مؤسسية، تهيمن على الكثير من التوزيع العالمي للأخبار، ولكن تم تحويل ساحة الإعلام العالمي، من خلال إمكانية تواجد صوت بديل. بعض من هذه الأصوات يمثله أتباع مثل الجزيرة، وآخرون أكثر استقلالية مثل شبكات إندي.

قد يكون الإعلام الراديكالي والمتمرد متصلان بالتشويش الثقافي والسياسي، ولكن غالبية عمله هو التدفق العكسي contra-fl ow (Boyd- Barett and Thussu, 19992)، مع هدف أكثر تحديدًا ودوامًا، وهو بالطبع أمر أكثر صعوبة بكثير، أن تدير مركزًا إعلاميًّا مستقلًّا في أنظمة حاكمة سلطوية وديكتاتورية. ولكن الأفق الإعلامي حول الإمكانيات إلى صوت بديل، كما أن العديد من الجماعات في أنظمة «ليست حرة» أسست مواقع إعلامية مستقلة تواجه المخاطر.

لا زالت تظهر على السطح جمل جديدة – وسوف تستمر في الظهور –؛ لكي تصف أو تحلل العلاقة بين الثقافة والعولمة، من هذه الجمل: «الاقتصاد الثقافي». يقدم آنهاير وآيسر (Anheier and Isar) في مجموعتهم ما يطلقون عليه «مؤشر الدعاوى» على أشكال العلاقة بين الثقافة والعولمة. (2008, 2). ولكن سيطرت نماذج الحداثة والاستقلال على كثير من التحكم الإعلامي الدولي المبكر والخطاب الأكاديمي. رأى أصحاب نظريات التحديث أنه كان يوجد إجراءات – تشبه القانون – ارتبطت بالإعلام والتنمية، ودخول الإعلام الغربي إلى الدول «المتخلفة» كان ينظر إليه على أنه شيء جيد، وسوف يساعد تلك البلاد على أن «تنمو». أما أصحاب نظريات الاستقلال، فقد رأوا أن وجهات النظر الأوربية – فيما يتعلق بالحداثة – كان لديها استعلاء عرقي، واختصار للإمبريالية الثقافية والهيمنة الثقافية. ورأى دورفمان وماتيلارت – على سبيل المثال – أن النظم الإعلامية تعمل كوسائل للإمبريالية الثقافية.

يصبح مفهوم الثقافة جوهريًّا في هذه الحوارات؛ لأن الهويات القومية والعرقية أصبحت على المحك. هل تمحو التدفقات الإعلامية المهيمنة، سواء أكانت على شكل تجاري أو تليفون أخبار الثقافات القومية والمحلية؟ وكما حاول أن يعرض المؤلفون، فإن فكرة التدفقات المهيمنة لم تختف في الخطاب عن الهيمنة الثقافية، ولكن كان هناك تحول بعيدًا عن التركيز فقط على الانتهاك الأجنبي للحدود القومية، وأصبح التمكين المحتمل للجمهور المحلي – من

خلال الإعلام الراديكالي والتشويش الثقافي أو أي وسائل أخرى - جزءًا من الخطاب والممارسة.

وجاء الطلب على إيجاد نظام جديد عالمي للمعلومات والاتصال؛ كنتيجة للاستياء من الاختلالات في التدفقات العالمية للأخبار، ونقص في احترام الهوية الثقافية للشعوب، ولا يزال يتبقى الآن العديد من هذه القضايا للجميع، وليس فقط لدى الأمم والثقافات الغربية التي تسعى إلى صوت مستقل.

في نهاية هذا الفصل يجب أن تكون قادرًا على:

مناقشة مفهوم الثقافة في إطار التواصل بين الثقافات.

تقييم الجدل الخاص بالإمبريالية الثقافية، والتعرف على إطاراتها، حيث يوجد أو لا يوجد تأثير ثقافي من خلال الإعلام.

التعرف على أصوات بديلة في المشهد الإعلامي العالمي والمحلي.

الموضوعات الأساسية:

الثقافة: الثقافة متأصلة فينا، إلى حد أنها حقيقة في كل النوايا والأغراض. وتبدو الثقافة على أنها طبيعية وعادية، ولكنها - في الوقت نفسه - تحدد ما نفعله في ممارستنا. ونحن نعطي الناس معانٍ وممارسات كما نفعل مع بيئتنا الحقيقية، ويحاول التواصل بين الثقافات في جوهره أن يصل إلى سبل أفضل لفهم الثقافات المختلفة غير ثقافتنا، وسبل أفضل للاتصال كمجتمع عالمي. وكان عمل جيرت هوفستيد محاولة مبكرة؛ لمحاولة تحديد الأبعاد المختلفة للثقافة، وكيف أنها أثرت على الاتصال والسلوك. وأبعاده التي تحتوي على الفردية /الجماعية بعد قوة الذكورة /الأنوثة، وتفادي الشك - قد لا تكون أمثلة كاملة لكيفية عمل الثقافات المختلفة أو رد فعلها، ولكنها أدلة لاختلافات حقيقية في أسلوب اتصالنا. وبعض الثقافات تتمتع بسياق عال، واختلاف المجموعة له أولوية على الفرد، كما أن بعض الثقافات تقدر الفردية أكثر من الجماعية، و الثقافات المختلفة لديها أيضًا أساليب مختلفة للاتصال، ومن الضروري - في الدراسات الإعلامية - أن نفهم أهمية الثقافية الثقافة كوسيط، وتأثير الاختلافات الاتصالية على التفسير.

التدفق العالمي: تشتمل العولمة - في حدها الأدنى - على شبكات للإعلام والسلع والناس، عابرة للحدود الوطنية، ويمكن أن تختلف في مداها وكثافتها وإيقاعها وتأثيرها،

ومن الممكن أن تحدد بعض التدفقات بين البلاد. وفي هذا الفصل – على سبيل المثال – استعرضنا باختصار التدفقات التجارية وحركة التليفون الدولي. ومن حيث المدى والكثافة والإيقاع، يمكننا أن نرى أن الأمم تميل إلى أن تتاجر وتتصل مع بعضها البعض على نطاق يقلل من زيادة الأضرار الثقافية. أيضًا، الملكية الإعلامية يبدو أنها في أيدي قلة على المستوى العالمي، من خلال وكالات الأنباء وجامعي الأخبار، ومركزة في عدد قليل من الشركات. ومن الواضح أن التدفقات المهيمنة والملكية الإعلامية المركزة، تعمل على دعم حوار الإمبريالية الثقافية، التي تهيمن عليها الشعوب الأغنى، وعلى وضع الأجندة الإعلامية العالمية. ولكن تتغير الصورة عندما ننظر إلى التدفقات العكسية والتابعة، فالمجموعة الإخبارية من الطبقة الثانية، مثل الجزيرة – غير مملوكة للولايات المتحدة ولا أوربا الغربية – واستطاعت أن تؤسس تأثيرًا عالميًّا، والإعلام المستقل القائم لا ينسخ أجندة الأخبار العالمية للدول الأغنى، ويعد التشويش الثقافي والسياسي سبيلًا للتعبير عن الاستياء في الدول الأغنى، حتى عندما تم تصميم الحملات الإعلانية الدولية للتأثير على الدول الأخرى – يمكننا أن نجد مقاومة، كما هو الحال مع الشركة الإيطالية بينتون، في حملتها عن وقف عقوبة الإعدام في الولايات المتحدة.

أسئلة للنقاش:

1– ابحث عن مواقع مؤسسات ذات سياق ثقافي عال ومنخفض، وأحضر لقاعة الدراسة أمثلة منها. ناقش – بأي طريقة – إذا كان أي منها تأثر بالسياق العالي والمنخفض للثقافة، أو بسياق الاتصال العالي أو المنخفض، فيما يختص بتصميمها، أو أي شيء آخر.

2– ابحث عن أمثلة للتشويش الثقافي أو السياسي، وأحضر أمثلة لقاعة الدراسة عن تأثيرها أو فائدتها كأداة للاحتجاج.

3– ما هو نموذج العولمة الذي ترى أنه يمثل ما يحدث؟ هل يمكنك أن تجد أمثلة تؤيد وجهة نظرك؟

4– لقد تم استخدام البربر كمثال على ثقافة تحاول الحفاظ على ماضيها ولغتها. هل تستطيع أن تجد أمثلة أخرى لمجموعات ثقافية حاولت تبني تكنولوجيا الإعلام الحديثة لدعم قضيتها؟

5- هل فعلًا تتحيز الملكية الإعلامية لما نراه ونسمعه في أخبارنا القومية والعالمية؟ هل «المواطن المحرر» أكثر أمانة في مدخله للأخبار، ويعد دليل الصحافة العالمية للمستقبل؟

6- أحضر إلى قاعة الدراسة ما ترى أنها أمثلة للتآكل الثقافي والإحلال الثقافي والقفزات الثقافية.

***

obeikandl.com